مصطلحا العدول والانزياح

في ميزان النقـــد الأدبـــي الحديـــث-دراسة نقدية موازنة

إعداد

د / منصور طـــه صالـــح خضـــر

مـدرس البـلاغة والنقـد

في كلية اللغة العربية بالمنوفية بالمنصورة

١٤٤١هـ = ٢٠٢٠م

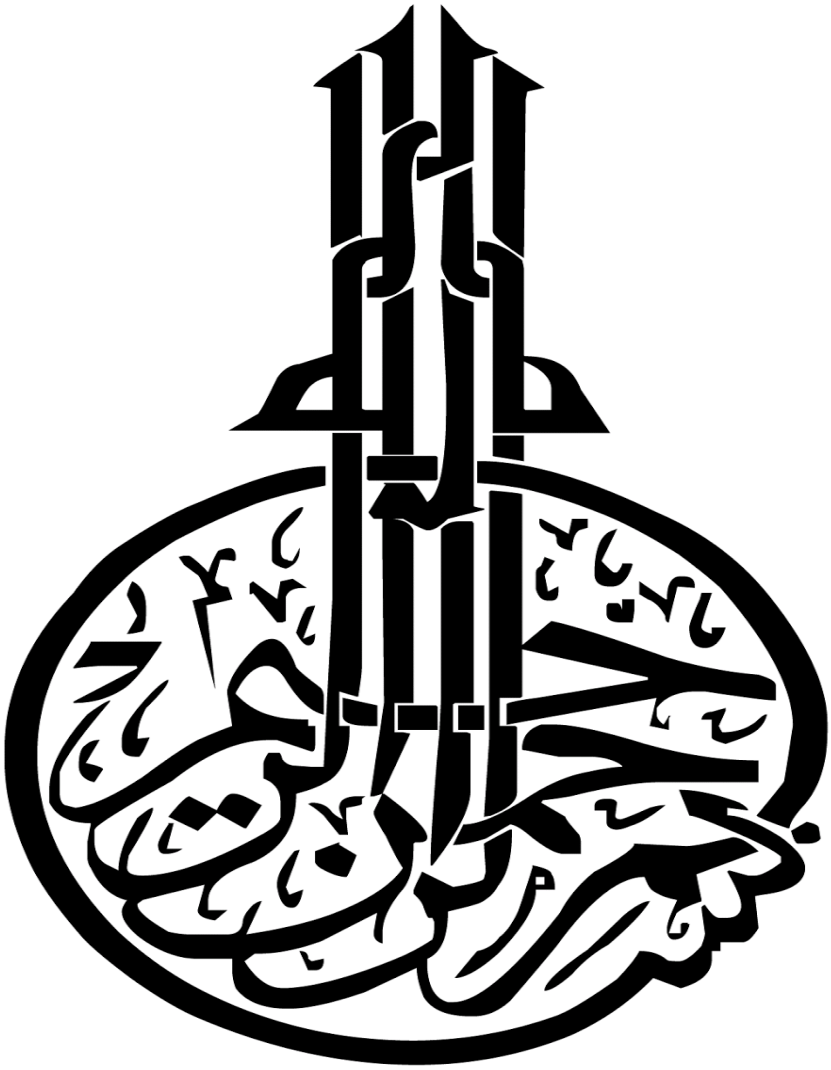

مصطلحا العدول والانزياح في ميزان النقد الأدبي الحديث
دراسة نقدية موازنة

منصور طـه صالـح خضـر
مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني: mansourkhedr.32@azhar.edu.eg

الملخص

يوازن هذا البحث بين مصطلحين نقديين دائرين في الاستعمال النقدي العربي الحديث أحدهما تراثي عربي (العدول) والآخر حداثي غربي (الانزياح)، بعد أن لاحظ الباحث أن الغلبة في الاستعمال كانت من نصيب مصطلح الانزياح علىٰ حساب مصطلح العدول .

ويهدف هذا البحث إلىٰ الوقوف علىٰ لب إشكالية توظيف مصطلح الانزياح في النقد العربي الحديث، وأن يُفند أدلة المفضلين له، ثم يوازن بينه وبين مصطلح العدول من خلال دراسة تؤصل لهما من حيث النشأة والمفهوم، والمعيار، والأنواع، ثم الموازنة بينهما في ضوء العناصر السابقة، لنرىٰ في النهاية أيهما أحق بالتوظيف في ضوء ثقافتنا ولغتنا، ووصولًا إلىٰ الهدف من هذه الدراسة فقد اتبعت المنهج الاستقرائي الوصفي، إذ استقريت ـ حسب ما تيسر لي ـ ما كتب عن المصطلحين، ثم قمت بتوصيف ما قرأت من خلال المناقشة القائمة علىٰ الوعي بأبعاد المصطلح، ومرجعيته، وآفاق استخدامه النقدي، وهذا الموضوع يستنتج منه أنَّ إشكالية توظيف مصطلح الانزياح في النقد العربي الحديث تتمحور حول تقديم معيار التماثل التام علىٰ معيار الوظيفة التواصلية

للفظة المترجمة، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ تفضيل مصطلح غربي غامض وغير منضبط، علىٰ حساب مصطلح عربي قار ومنضبط وهو العدول، وقامت أسباب تفضيل الانزياح علىٰ العدول في النقد العربي الحديث علىٰ حجج واهية سرعان ما تلاشت أمام المناقشة الموضوعية، وكان المعيار العربي لمصطلح العدول أكثر انضباطًا واتفاقًا عليه من النقاد مقارنةً بمعيار مصطلح الانزياح الذي اتسم بالكثرة والتنوع، وأدىٰ تقسيم أنواع الانزياح إلىٰ سياقي واستبدالي إلىٰ التداخل بين نوعيهما، وعدم وجود حدود فاصلة بينهما، في حين أن تقسيم أنواع العدول ـ عند بعض النقاد العرب ـ باعتبار الحرف والكلمة والجملة كان أكثر تحديدًا، ومنعًا للتداخل، وتشابه المصطلحان في الاهتمام بالشعر وجعله أصلاً للغة الفنية، واختلفا بعد ذلك في المرجعية فكانت مرجعية العدول لغوية بلاغية نقدية، ومرجعية الانزياح أسلوبية، وترتب علىٰ ذلك أن كان العدول أرسخ ركنًا وأثبت قدمًا من الانزياح في نقدنا العربي، ويوصي الباحثين بإيثار مصطلح العدول في ممارستهم النقدية وعدم الانصياع وراء استخدام مصطلح الانزياح بعد أن ثبت أفضلية العدول عليه .

الكلمات المفتاحية: مصطلحا – العدول – الانزياح – النقد– نقدية

The terms justice and displacement in the balance of modern literary criticism are a balanced and critical study

Mansour Taha Saleh Khader

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University in Mansoura.

Email: mansourkhedr.32@azhar.edu.eg

Summary:

This research balances between two circular monetary terms in modern Arab critical use, one of which is an Arab heritage (al-Adul) and the other a Western modernist (displacement), after the researcher noticed that the dominance in usage was from the share of the term displacement at the expense of the term al-adoul.

This research aims to stand on the core of the problem of employing the term displacement in modern Arab criticism, and to refute the evidence of those who prefer it, then balance it with the term justice through a study rooted for them in terms of origin, concept, standard, and types, then balance between them in the light of the previous elements, To see in the end which one is entitled to employment in the light of our culture and language, and to reach the goal of this study, I followed the descriptive inductive approach, as I settled - according to what was available to me - what was written about the two terms, then I described what I read through the discussion based on awareness of the dimensions of the term, And its reference, and the prospects for its critical use This topic concludes from him that the problem of employing the term displacement in modern Arab criticism revolves around presenting the criterion of complete symmetry over the standard of communicative function of the translated word, which led to a preference

for a vague and uncontrolled western term, at the expense of the fixed and disciplined Arabic term which is justice, and the reasons for preferring displacement The fairness in modern Arab criticism on flimsy arguments quickly faded before the substantive debate, and the Arab standard for the term justice was more disciplined and agreed upon than critics compared to the criterion of the term displacement, which was characterized by abundance and diversity, and the division of types of displacement led to a contextual and You will substitute for the overlap between their two types, and the absence of a separating border between them, while the division of types of justice - for some Arab critics - given the letter, word and sentence was more specific, and to prevent overlap, and the similarity of the two terms in caring for poetry and making it an origin of technical language, and then differed in reference The reference of the nonsense was linguistic, rhetorical, critical, and the reference to displacement is stylistic, and it follows that the justice was firmly established and established a footage of displacement in our Arab criticism.

Keywords: Terms – Swing back – Displacement – Criticism – Critical

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

وبعد

فإنَّ الناظر في الدرس النقدي العربي الحديث يلفته التبادل لمصطلحي العدول والانزياح في الإطلاق على مفهوم الخروج على المعيار، ومخالفة الأصل، وأنَّ هذا التبادل لم يكن بدرجة متساوية، بل كانت الكفة فيه تميل لصالح مصطلح الانزياح، إذ طغى في الاستعمال النقدي، وأضحى له موقع الصدارة مقارنة بنظيره الذي تقهقر، وأمسى حضوره باهتًا مقارنة بحضور الآخر.

فلقد اعتاد كثيرٌ من الباحثين على إيثار مصطلح (الانزياح) في الدراسات النقدية الحديثة[1]، وتفضيله على غيره خصوصًا الانحراف والعدول، واستندوا في هذا التفضيل على أنَّ الانزياح هو الترجمة الأدق للمصطلح الفرنسي Ecart [2] إذ إنها تحمل معنى البُعد[3] الكائن بالدرجة الأولى في الكلمة الفرنسية، في حين جعل مصطلح (الانحراف) ثانيًا، رغم أنه الأشهر والأكثر استعمالاً، وذلك لأنه يحمل

(١) انظر مجلة العربية والترجمة، عدد ١٢ لسنة ٢٠١٣ بحث علاقة المصطلح البلاغي بالمتغير الواقعي (الحِجَاج وصنع المعجم)، رياض عثمان صـ٥٣، ٥٤، إذ عَدَّدَ الباحث بعضًا من هذه الدراسات، وهذا علىٰ سبيل المثال لا الحصر .

(٢) كما أنَّ الانزياح ترجمة كذلك للفظة الإنجليزية (deviation) والألمانية (abweichung)، علاقة المصطلح بالمتغير الواقعي صـ٥١ .

(٣) هذا بالإضافة إلىٰ مميزات أخرىٰ دلالية وصوتية . انظر مجلة عالم الفكر م(٢٥)، ع(٣)، ١٩٩٧م بحث الانزياح وتعدد المصطلح، أحمد محمد ويس صـ٦٥ .

بعدًا أخلاقيًا سيئًا [1] .

بينما أُخِّر مصطلح (العدول) لأنه مستهلك في الدراسات النحوية والبلاغية القديمة[2]، وأنه – بالإضافة إلى الانحراف- مشغول أو شبه مشغول[3]

وهذا التوجه في التأصيل يؤخذ عليه عددٌ من السلبيات منها :

١- أنه يُفرِّغ مصطلح (العدول) من مضمونه، ويجرده من حمولاته المعرفية والنقدية .

٢- أنه يُقَلل من قيمة مصطلح العدول، ويصدره للقارئ في صورة التابع، مع أنه يمتلك الخصائص والمقومات التي تجعله في الصدارة .

٣- أنه يضع القارئ العربي في مأزق، إذ لا يدري حين يُطلق مصطلح (العدول) أيراد به المصطلح العربي الآمن المستقر بحمولاته المعرفية، أم يراد المرادف للمصطلح الأجنبي الغامض الذي تتنازعه الآراء والمشارب .

٤- أنه يقرن العدول بالانزياح، ثم يفاضل بينهما دون تأصيل مستوعب لهما، ودون مراعاةٍ لما بينهما من أوجه تشابه واختلاف .

- إنَّ هذه الممارسة النقدية الراهنة إزاء هذين المصطلحين بمنزلة الإشكالية التي تحتم على الباحث أن يشتبك مع هذين المصطلحين بالتأصيل والتدقيق، ومن ثم المناقشة والموازنة، لنستجلي نقاط التشابه والاختلاف وصولاً في النهاية إلى

---

(١) الانزياح وتعدد المصطلح صـ٦٧ .

(٢) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، يوسف وغليس صـ٢١٩، دار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، نقلاً عن الانزياح في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير لمحمود عبد المجيد عمر، كلية التربية – جامعة صلاح الدين- أربيل – العراق، ص٥ .

(٣) الانزياح وتعدد المصطلح صـ٦٤ .

رأي يحاول أن يضع الأمور في نصابها، ويحسم اللغط الدائر في الممارسات النقدية الخاصة بهذين المصطلحين .

واختياري لهذا الموضوع كان بسبب قراءتي في كتاب (الانزياح التركيبي في النص القرآني)[1] بعد أن جذبني إليه عدم استساغتي لاقتران هذا اللفظ بالقرآن الكريم، فذهبت أقرأ في محتواه، فتكشَّف لي – من خلال مقدمته النظرية- مدى الغموض الذي يلف هذا المصطلح، وعدم الاتفاق على معيارٍ له بين منظريه، واحتواء مصطلح العدول للأنواع التي يطرحها هذا المصطلح الوافد، ثم الدراسة التطبيقية التي لم تقدم جديدًا على ما نعرفه في معالجتنا البلاغية والنقدية، فثار في نفسي سؤالاً هو : لم آثر الباحث الانزياح على العدول ؟ وبدأت في البحث عن إجابة لهذا السؤال، فوجدت بحثًا بعنوان (مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب)[2]، قام فيه صاحبه بالمقارنة بين المصطلحين والكشف عن أفضلية العدول، وتقاصر الانزياح أمامه، إذ لا يمثل معناه اللغوي المفهوم الذي يطلق عليه، سالكًا في سبيل الوصول إلى ذلك عدة مناقشات، وواضعًا يده على بعض سلبيات هذا المصطلح الوافد .

ولكني أحسست – في ضوء ما قرأت حول هذا المصطلح- أنَّ ما ذكره غيرُ كافٍ، إذ لم يعالج لُب المشكلة وأساسها المتمثلة في الحرص على الترجمة المماثلة دون مراعاة الوظيفة التواصلية للّفظة، كما أنه لم يناقش دليل من فَضَّل الانزياح على العدول، وهو د/ أحمد محمد ويس، صاحب بحث الانزياح وتعدد

(١) عبد الله خضر، دروب للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٦م .

(٢) د/ سلام عبد الله محمود عاشور، مجلة جامعة ابن رشد، هولندا، العدد السادس، يونيو ٢٠١٢م .

المصطلح[1]، والذي يُعد إمامَ الباحثين العرب المفضلين لهذا المصطلح على مصطلح العدول، بالإضافة إلى أنه لم يحدد معايير المصطلحين تحديدًا واضحًا يكشف عن مدى التناقض والاضطراب عندهم في مقابل الاستقرار والثبات عندنا، كما أنه لم يكشف عن عيوب التقسيم لأنواع الانزياح، بالإضافة إلى أنه جانبه الصواب في تقسيمه لأنواع الانزياح، إذ فَصل بين الانزياح الإسنادي، والتركيبي وجعل الأول نوعًا برأسه مع أنه داخل ضمن الثاني، كما أنه أدخَل الاستعارة والمجاز والتشبيه في التركيبي، وهي من الاستبدالي كما جاء عند جون كوهن .

ومن ثَمَ كان بحثي بعنوان (**مصطلحا العدول والانزياح في ميزان النقد الأدبي الحديث**) دراسة نقدية موازنة، وأبتغي من خلاله أن يقوى الدليل، وتشتد الحجة، على أفضلية العدول على الانزياح أمام الباحثين، والذي لا يكشف الأخير – عند الاشتباك معه ومفاضلته بالعدول- إلا عن غموضه وزيفه .

- ووصولاً إلى الهدف من هذه الدراسة فقد اتبعت المنهج الاستقرائي الوصفي، إذ استقريت – حسب ما تيسر لي- ما كتب عن المصطلحين، ثم قمت بتوصيف ما قرأت من خلال المناقشة القائمة على الوعي بأبعاد المصطلح، ومرجعيته، وآفاق استخدامه النقدي .

وعلى هذا جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث تمثلت في الآتي :

المبحث الأول : تأصيل مصطلح العدول، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نشأة العدول ومفهومه .

المطلب الثاني : معيار العدول .

(١) مجلة عالم الفكر، م(٢٥)، ع (٣)، ١٩٩٧م .

المطلب الثالث : أنواع العدول .

٢- المبحث الثاني : تأصيل مصطلح الانزياح، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نشأة الانزياح ومفهومه .

المطلب الثاني : معيار الانزياح .

المطلب الثالث : أنواع الانزياح .

٣-المبحث الثالث : المصطلحان في ميزان النقد الأدبي الحديـــث :

المطلب الأول : مفهوم المصطلحين ونشأتهما في ميزان النقد الأدبي الحديث .

المطلب الثاني : معيار المصطلحين في ميزان النقد الأدبي الحديث .

المطلب الثالث : أنواع المصطلحين في ميزان النقد الأدبي الحديث .

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل البحث إليها، ثم فهرس المصادر، والمراجع، وفهرس الموضوعات .

المبحث الأول

تأصيـل مصطلح العدول

وفيه:

المطلب الأول : نشأة العدول ومفهومه .

المطلب الثاني : معيار العدول .

المطلب الثالث : أنواع العدول .

المطلب الأول: نشأة العدول ومفهومه

مصطلح العدول مصطلح تراثي عربي عُرِف لدى اللغويين والبلاغيين والنقاد القدماء، وذلك في إطار تعاملهم مع اللغة، ورصدهم القواعد الأساسية والاستعمالات الأصلية التي تأتي عليها، وفي الوقت ذاته الاستعمالات الخارجة عن الأصل، والمخالفة للقاعدة المطردة .

كان المبدع أو القائل للأسلوب يعدل به عن المألوف المطرد، والمعهود المفترض، وكانوا يلاحظون ذلك ويطلقون عليه اسم العدول، لأن العدول في اللغة من معانيه : « عدل عن الشيء يعدل عدْلاً وعُدُولاً، حاد عن الطريق ؛ جار، وعَدَل إليه عُدُولاً : رجع، وماله مَعدَل ولا مَعْدُول أي مصرف .. »[1].

وعلى هذا « فالمعنى المعجمي لكلمة العدول يشير إلى دلالة الميل والانتقال من حالة إلى حالة أخرى، وهذا الميل له أثره الفني والجمالي، وعلى هذا فالعدول ظاهرة بين طرفين : معدول عنه، ومعدول إليه، وفكرة العدول تعني ترك المعدول عنه، والانتقال إلى المعدول إليه، ومن هنا يفهم أن العدول في اللغة إجراء يلحق الصياغة لأغراضٍ فنية » [2].

---

(١) ينظر لسان العرب : (عدل) .

(٢) مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الحادي عشر، بحث بلاغة العدول في البنية التركيبية في سورة الملك، د/ عبده محمد صالح الحكيمي صـ٢٤١، وقد اعتمدت في هذا التأصيل علىٰ ما ذكره الباحث في هذا السياق، وهكذا أصنع في بقية

– وقد ورد مصطلح العدول بالمفهوم السابق عند (ابن جني) فقد أطلقه وأراد به العدول عن الحقيقة، والميل عنها، وذلك في حديثه عن المجاز بقوله : « وإنما يقع المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»[1] .

– كما ورد عند أبي هلال العسكري كذلك في قوله : « وعندنا أنَّ الرحيم مبالغة لعدوله، وإن الرحمن أشد مبالغة، لأنه أشد عدولاً، إذا كان العدول على المبالغة، كلما

التأصيل إذ اعتمد علىٰ مراجع أخرىٰ، فشأن الأبحاث أن تكون تراكمية يستفيد منها الباحث، ويحيل عليها، دون حاجة إلىٰ التكرار الذي تغنىٰ عنه الإحالة، كما أن من شأن الأبحاث العلمية التي تراجع الأفكار المطروقة أنّ تعتمد علىٰ بعضها ويبني فيها اللاحق علىٰ السابق، حتىٰ ينتهي – من أقرب الطرق– إلىٰ فكرة جديدة تعين من يأتي بعده علىٰ تدعيمها وتطويرها، أو نقدها والبناء علىٰ غيرها، فهذا أفضل وأنفع من أن يعيد كل باحث ما ذكره الآخر بنصه، ولذا سنقتصر هنا علىٰ نماذج قليلة نحقق من خلالها بغيتنا – هنا– في التأكيد علىٰ وجود المصطلح في التراث. وفي هذا الصدد فإن النماذج التي سنستشهد بها هنا –وغيرها– للعلماء القدماء وردت في معظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، وانظر في ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، د/ إبراهيم بن منصور التركي، مجلة جامعة أم القرىٰ لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٩، ع٤٠، ١٤٢٨هـ .

– وينظر الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، د/ عباس رشيد الددة، دار الشئون الثقافية العامة، العراق، ط١، ٢٠٠٩م .

– وكذلك ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقارنة أسلوبية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة . إعداد : عبد الحفيظ مسراح – جامعة الجزائر ٢٠٠٦م .

(١) الخصائص، ج٢/ ٤٤٤، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١م .

كان أشد عدولاً كان أشد مبالغة »[١].

– كما وظفه الإمام عبد القاهر بقوله : « وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على أنهم جازوا به موضعه الأصلي »[٢].

وعلى ذلك فإن هذه النصوص– وغيرها– [٣] تدل على تأصل مصطلح في التراث النقدي العربي، وتدل على وضوح مفهومه والذي يدور حول الخروج على الأصل، وكسر القاعدة المألوفة، وقد استمر هذا الوعي للمفهوم على هذا النحو حتى العصر الحديث، إذ عُرِف أيضًا لدى النقاد المحدثين بأنه « خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة » [٤].

فهو مرتبط بالإجراءات العدولية التي تحدث في اللغة بكافة أنواعها نثرًا كانت أو شعرًا، وهذه الإجراءات تجعل اللغة الأدبية أكثر فنيةً وثراءً، وإن كانت ترتبط هذه الفنية بالشعر أكثر من النثر .

---

(١) الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي صـ١٦٠، ١٦١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١م .

(٢) أسرار البلاغة، شرح وتحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، صـ٣٩٧، ٣٩٨، مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٣) ينظر ما ذكر عن الزمخشري، والعلوي اليمني، والسكاكي، وابن الأثير في بحث بلاغة العدول في النبية التركيبية في سورة الملك صـ٢٤٦– ٢٤٨ .

(٤) البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د/ تمام حسان صـ٣٤٧، نشر عالم الكتب القاهرة ١٩٩٣م .

المطلب الثاني : معيار العـــدول

يقصد بالمعيار في هذا الإطار « الأساس الافتراضي أو المثالي الذي ينزاح عنه النص الإبداعي الذي لابد له من خلخلة نموذجية المعيار ليكتسب هو فرادته أو هويته الخاصة »[1]، وإذا نظرنا في تراثنا اللغوي والنقدي – في ضوء المفهوم السابق- نجد أنَّ اللغة المعيارية تتشكل - في غالبيتها - من « قواعد الاستخدام اللغوي الصحيح في المستوى العادي ؛ لأنه يشكل – في تصور النحاة واللغويين- البنية المستقرة المثالية التي يمكن جعلها معيارًا يرجعون إليه، ومن ثم وجهوا جهودهم للمحافظة على مثالية هذه البنية عن طريق الصناعة النحوية التي تعتمد على التقدير والتأويل »[2]، فـ « المستوى العادي هو الذي يعتمد النحو التقعيدي في تشكيل عناصره، كما يعتمد اللغة في تنسيق هذه العناصر، وثمرة الترابط بين ما يقوله النحاة وما يقول به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استخدامها المألوف، وهي مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية »[3]، وقد « تبع الاعتقاد في مثالية اللغة المعيارية واعتمادها على الاصطلاح والمواضعة، وشيوع معرفتها واستخدامها بين الناس

(١) الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، صـ ٢٠٩ .

(٢) تراثنا البلاغي والمناهج الحداثية دراسات مقارنة، د/ أسامة البحيري صـ٥٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٦م .

(٣) البلاغة والأسلوبية د/ محمد عبد المطلب صـ٢٦٨، الشركة المصرية العالمية للنشر – ط١، ١٩٩٤م .

الاعتقاد في سبقها للغة الأدبية التي تتميز بالتفرد والابتكار»[1].

وهكذا صار المعيار في لغتنا – في غالبيته – يقوم على القواعد الأساسية التي أرسى أسسها النحاة واللغويون من ناحية ضبط التراكيب ودلالات الألفاظ قياسًا بما هو مستعمل، ثم جاء البلاغيون والنقاد فنظروا في الجهة التي تعنيهم وهي اللغة الفنية التي تعدل عن هذه الأصول المتبعة وتخرج عليها، فـ « إذا كان النحاة واللغويون قد حرصوا على مثالية اللغة في مستواها العادي- وهو المستوى الذي يعنيهم الاشتغال به ورعايته – فإنَّ النقاد والبلاغيين- وهم المعنيون باللغة الفنية – قد حرصوا – على العكس من النحاة واللغويين – على رعاية صفةٍ مخالفة في الاستخدام الفني للغة هذه الصفة هي المغايرة أو الانحراف على نحو معين عن القواعد والمعايير المثالية التي تحكم اللغة العادية »[2]، و« ليس معنى هذا إنكار البلاغيين والنقاد للمستوى المثالي الذي أقامه النحاة واللغويون، بل إنَّ ذلك يؤكد إدراكهم لتحققه، بحيث جعلوه الخلفية الوهمية وراء الصياغة الفنية التي يمكن أن يقيسوا إليها عملية العدول في هذه الصياغة »[3].

– ولا يخرج المعيار السابق عن اعتقاد البلاغيين والنقاد (أنَّ كل بنية مجازية لابد أن تكون متحولة عن بنية حقيقية أصلية سابقة عليها، ولا عن ارتكاز

(١) تراثنا البلاغي والمناهج الحداثية، صـ ٥٤ .

(٢) نظرية اللغة في النقد العربي، د/ عبد الحكيم راضي، صـ٢٠٩، المجلس الأعلىٰ للثقافة ٢٠٠٣م .

(٣) البلاغة والأسلوبية، صـ٢٦٩، وانظر في هذا المعيار أيضًا البيان في روائع القرآن، د/ تمام حسان صـ٣٤٥ .

السكاكي على مقولة « متعارف الأوساط » كقاعدة يقيس عليها الإيجاز والإطناب، واعتماد القزويني على قاعدة « أصل المعنى المراد » بدلاً من متعارف الأوساط)[1].

– ومن النقاد من جعل النثر الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم هو المعيار للغة الفنية ومن هؤلاء ابن طباطبا العلوي إذ يقول : « الشعر– أسعدك الله– كلام منظوم، بان عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل به عن جهته، مجته الأسماع، وفسد على الذوق »[2]، فابن طباطبا « يرى أن التمايز بين الشعر والأصل المعياري (النثر) لا يتعدى (النظم)، فليس الوزن – حسبه – هو الذي يهب المعيار النثري وجودًا شعريًا، ذلك أنَّ إضفاء هذا الوزن عليه لا يمنحه توهجه الشعري، كما أنَّ إقصاءه عنه لا يُذْهِب عنه ذلك التوهج، ولهذا يجنح ابن طباطبا إلى إغفال ما يضفيه الوزن على الشعر من مظهر فوقي شكلي لا يرى في هجره انتفاءً لشعرية الشعر »[3].

* * * *

(١) تراثنا البلاغي والمناهج الحداثية، صـ ٥٤، بتصرف .

(٢) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، شرح تحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، ص٩، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م ، وانظر أيضًا تراثنا البلاغي والمناهج الحداثية صـ٥٩ .

(٣) الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، صـ ٢٢٠، ٢٢١ .

المطلب الثالث : أنواع العـــــدول

– لم تكن عناية النقاد والبلاغيين القدماء منصبة نحو تحديد أنواع العدول من اللغة المعيارية إلى اللغة الفنية، وإنما كانوا معنيين برصد ما يظهر لهم، وإقراره، ولذا لم نجد عندهم حصرًا مستوعبًا لأنواع العدول، كما أنَّ محاولة حصر هذه الأنواع في قوالب صارمة أمرٌ من الصعوبة بمكان لأن اللغة الفنية تتشكل تبعًا لأحاسيس المبدع التي يصعب السيطرة عليها – في الأساس– أو ضبط مساراتها .

– وإذا أردنا أن نبحث عن صور العدول في ضوء دراسات النقاد المحدثين، فإننا نجد عدة محاولات اجتهد أصحابها في الوقوف عليها من خلال قراءاتهم في التراث النقدي .

ومن أبرز تلك المحاولات[1] ما استعرضه د/ عبد الحكيم راضي في هذا الإطار، إذ رصد عددًا من الصور توزعت في ثلاثة أنواع هي التركيب والدلالة ومباني التصريف [2].

– **النوع الأول** : التركيب : وقد ذكر فيه التقديم والتأخير، وظواهر النقص والزيادة، ويعني « بظواهر النقص ما يندرج تحته من أساليب كالإيجاز، والحذف

(١) ومن هذه المحاولات دراسة (العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي) إذ ذكر فيها الباحث عددًا من الصور تندرج جميعها تحت مظلة علم المعاني، إذ يرىٰ أنه (لا يكاد يخلو مبحث من مباحث علم المعاني من رصد صورة الأصل، ثم بيان الصور البلاغية التي تتحقق من خلال العدول عن هذا الأصل) وتأسيسًا علىٰ ذلك فقد قام بدراسة الخبر، المجاز العقلي، التعريف، التنكير، التقديم والتأخير، وخروج الكلام علىٰ خلاف ما يقتضيه الظاهر، الالتفات، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، وعكسه، والقصر، والإنشاء، والإيجاز، والإطناب .

(٢) نظرية اللغة في النقد العربي : صـ ٢١٥ .

والاختصار ...، أما ظواهر الزيادة فيقصد بها ما يدخل في عداد الإطناب والتتميم والتكميل والتذييل والتكرير ... »[1].

– **النوع الثاني** : الدلالة : والصورة المثالية في هذا النوع أن يكون كل لفظ بإزاء مدلول معين »[2]، وقد ذكر فيه المجاز، والكناية، والتعريض، واللغز، واللحن، والأفعال والحروف، والمجاز العقلي .

– **النوع الثالث** : مباني التصريف، وذكر مجموعة من الصور « وتشمل : الشخص والعدد والنوع والتعيين، وتتعلق المقولة الأولى بضمائر التكلم والخطاب والغيبة، والثانية بالإفراد والتثنية والجمع، والثالثة بالتذكير والتأنيث، والرابعة بالتعريف والتنكير، فنجد أن البلاغيين قد استغلوا المقولات الثلاث الأولى – على الأقل– من زاوية وجوب المطابقة فيها، ليقيموا فوق حطام هذه المطابقة أبنية أطلق عليها عديد من الأسماء، مثل (الالتفات)، (التوسع)، (شجاعة العربية)، (الخروج على خلاف مقتضى الظاهر) أو المجاز .. »[3].

– وهناك من الباحثين من قسَّم صور العدول في اللغة العربية باعتبار الحرف، والكلمة، والجملة [4].

---

(١) نظرية اللغة في النقد العربي، صـ٢٣٢ .

(٢) السابق صـ٢٤٠ .

(٣) السابق صـ ٢٦١ .

(٤) ينظر ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقاربة أسلوبية، عبد الحفيظ مراح، صـ٢٣– ٢٩ .

المبحث الثانـي

تأصيل مصطلح الانزياح

وفيه:

المطلب الأول : نشأة الانزياح ومفهومه

المطلب الثاني : معيار الانزياح.

المطلب الثالث : أنواع الانزياح.

المطلب الأول : نشأة الانزياح ومفهومـــه

الانزياح[1] مصطلح نقدي غربي حديث وهو ترجمة للفظة الفرنسية (ecart)، والإنجليزية (deviation)، والألمانية (abweichung)، وقد اختلفت تسميات هذا المصطلح في النقد الغربي، وذلك باختلاف النقاد الذين تعاملوا معه، فقد عده بول فاليري تجاوزًا، وبارت يسميه فضيحة، وتودروف يدعوه شذوذًا، وجان كوهن يطلق عليه تسمية انتهاك، وتيري يسميه كسرًا، وأراغون يدعوه جنونًا »[2]، وتبع هذا الاختلاف في التسمية التذبذب في تحديد مصطلحه ذلك أنَّ « الانزياح في

(١) زاح الشيء يَزيحْ زيْحًا وزُيُوحًا وزِيَوحًا وزَيَحانًا، وأَزْاحَ : ذهب وتباعد . (اللسان: زيح)، (إذن المعنىٰ المعجمي يركز علىٰ معنىٰ (الابتعاد عن ..) وهو الأمر الذي يجمع مختلف الاتجاهات النقدية التي تناولت هذا المفهوم) انظر الانزياح التركيبي في النص القرآني، أ. عبد الله خضر صـ١٣، دروب للنشر والتوزيع ٢٠١٦م، (وقد ذهب بعض الدارسين إلىٰ أنَّ الجذر اللغوي للانزياح هو (ن ز ح) وهو مذهب تنقصه الدقة، لأن الانزياح من باب المطاوعة ووزنه انفعال وتكون النون حرفًا مزيدًا، ولو كانت حرفًا أصليًا في الكلمة لكان وزن الانزياح – حسب ذلك المذهب- إفعيالاً وهو ما لا يوجد له في بابه تصريف، ولعل ما يوقع في هذا اللبس هو تقارب المحتوي الدلالي للجذرين زَيَحَ ونَزَح المتمثل دلالة البعد والذهاب) انظر الانزياح في شعر نزار قباني، صـ٤ .

(٢) ينظر : علاقة المصطلح البلاغي بالمتغيِّر الواقعي، صـ٥١، وقد ذكر د/ عبد السلام المسدي تسميات أخرىٰ لنقاد آخرين، زيادة علىٰ ما سبق فذكر الانحراف لـ(سبيتزر)، والاختلاف لـ (والاك وفاران)، والإطاحة لـ (باتيار)، والمخالفة لـ(تيري)، والعصيان لـ(آراقون)، والتحريف (جماعة مو)، انظر الأسلوبية والأسلوب د/ عبد السلام المسدي، صـ١٠٠، ١٠١، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٢م .

ذاته متصور نسبي تذبذب الفكر اللساني في تحديده وبلورة مصطلحه فكلٌ يسميه من ركن منظورٍ خاص »[1]، فجون كوهن يعرفه بأنه « طريقة لخرق قانون اللغة العادية »[2]، ثم يعود ويعرفه بأنه « خطأ متعمد يُستهدف من ورائه الوقوف على تصحيحه الخاص »[3]، بينما يُعرِّفه ريفاتير بأنه « يكون خرقًا للقواعد حينًا، ولجوءًا إلى ما ندر من الصيغ حينًا آخر »[4].

ويعرفه آخرون بأنه « ضربٌ من الاصطلاح يقوم بين الباث والمتقبل ولكنه اصطلاح لا يَطرَّد، وبذلك يتميز عن اصطلاح المواضعات اللغوية الأولى فهو إذن تواضع جديد لا يفضي إلى عقد بين المتخاطبين »[5].

وقد استقر هذا المفهوم في وعي النقاد العرب المحدثين – بوجه عام- على أنه « كسرٌ للمعيار غير أنه لا يتم إلا بقصد من الكاتب أو المتكلم، وهذا ما يعطي لوقوعه قيمة لغوية وجمالية ترقى به إلى رتبة الحدث الأسلوبي »[6].

و(على الرغم من كون مصطلح الانزياح حديث النشأة، إلا أنَّ شيئًا من

---

(١) ينظر : علاقة المصطلح البلاغي بالمتغيِّر الواقعي صـ٩٨ .

(٢) بنية اللغة الشعرية، جون كوهن، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، صـ ١٩١، مكتبة الأدب المغربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م .

(٣) السابق صـ١٩٤ .

(٤) الأسلوبية والأسلوب، ص١٠٣ .

(٥) السابق صـ١٠٥ .

(٦) الأسلوبية وتحليل الخطاب د/ منذر عياشي، صـ٧١، دار نينوىٰ للدراسات = = والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م .

مفهومه يرجع أصوله إلى أرسطو وإلى من تلاه من البلاغيين والنقاد، فأرسطو قد ميز بين اللغة العادية (المألوفة) وأخرى غير مألوفة، وشبه (كوينتليان) (ت٢٩٠) الخلاف بين اللغة الأدبية واللغة النمطية بالخلاف بين جسد متحرك وآخر ساكن لا حياة فيه) [١]، ومع أنَّ هذا المصطلح ينسب إلى الأسلوبيين أولاً وأخيرًا « إلا أنهم لم يستقلوا به، لكونه مفهومًا عامًا غير مختص بمدرسة واحدة، فقد شاركت في بناء مفهومه كل من السريالية والشكلانية الروسية، ومدرسة براغ، ومدرسة النحو التوليدي التحويلي، إذ إنَّ كل مدرسة أخذت بطرفٍ من الأطراف »[٢].

ومن أشهر رواده الغربيين (« فاليري » القائل الحقيقي لمقولة الانزياح، و« سبيتزر » الذي عمق فكرة الانزياح عندما جاء للأسلوبية بمصطلح (الانحراف) وجعل من الاستعمال الشائع قياسًا للانزياح في الأسلوب، و«تشومسكي » الذي أكد على مفهوم (الانحراف) الذي يختص باللغة الأدبية)، و« ريفاتير» ؛ والذي يُعد مفهوم الانزياح أهم ما يميز الأسلوبية عنده[٣] وقد تطور هذا المفهوم عنده تطورًا جذريًا، و«جون كوهن » الذي نضج المفهوم عنده، ويعتبر من أهم من كتب في (الانزياح) إطلاقًا، إذ تشكل هذه الظاهرة عنده جوهر العملية الشعرية، وهي عنده شرط ضروري لكل شعر، فالشعر انزياح عن المعيار الذي اعتبره النثر فتعتبر القصيدة انزياحًا عنه، وهو يعطي الدور الأهم في العملية الشعرية للشاعر – وهو دورٌ سلبي – إذ يقوم فيه المبدع بتكسير بنية اللغة، وخلخلة العلاقات والقواعد

(١) الانزياح التركيبي في النص القرآني، صـ١٦، ١٧ .

(٢) السابق، صـ١٧، ١٨ .

(٣) ينظر قضايا النقد الأدبي المعاصر، د/ محمد القاسمي، صـ٨٣، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م .

الصارمة، لأنها هي المرحلة الضرورية الأساسية التي تعقبه المرحلة الثانوية التي هي نتيجة، إذ يقوم المتلقي فيها ببناء العلاقات بين الدال والمدلول من جديد وبصورة غير مألوفة ولافتة للنظر)[1].

وعلى كلٍ فإن الأسلوبيين الغربيين « ينظرون إلى اللغة – في ضوء مفهوم الانزياح – على أساس مستويين :

١- مستوى اللغة العادية : وهي اللغة المنتشرة بين عامة الناس والمراعية للوظيفة الإبلاغية بالدرجة الأولى .

٢- مستوى اللغة غير العادية (الإبداعية) : وهي اللغة التي تنتهك الأساليب العادية الجاهزة، المألوفة باحثة عن طاقات أسلوبية وجمالية مميزة تترك أثرها وبصمتها في نفسية المتلقي »[2].

- وفي النهاية فإن مصطلح الانزياح « مقترحٌ من لدن الأسلوبيين لضبط معيار اختلاف اللغة الشعرية عن اللغة العادية »[3] ولذا فمرجعيته أسلوبية شعرية[4].

---

(١) ينظر الانزياح التركيبي صـ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، وينظر في ذلك الانزياح في شعر نزار قباني، صـ١١- ١٥، وينظر تأصيل المصطلح في النقد العربي في الانزياح وتعدد المصطلح، صـ٦٤ - ٦٧ .

(٢) معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، صـ٣٣٢، الدار العربية للعلوم، ناشرون ط١، ٢٠١٠م .

(٣) العدول في البنية التركيبية، قراءة في التراث البلاغي، صـ٥٥٠ .

(٤) ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ صلاح فضل صـ٦٣، عالم المعرفة، أغسطس ١٩٩٢م، وانظر مفاهيم الشعرية، حسن ناظم صـ١١٥، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤م .

المطلب الثاني : معيـــار الانزيـــاح

تعددت زوايا النظر للمعيار الذي يعد الخروج عليه انزياحًا في النقد الغربي، وهذا التعدد ناتج لاختلاف النقاد الذين أدلوا بدلوهم في هذا المضمار، إذ يعبر كل ناقد منهم عن رؤيته التي تغذيها مرجعيته الأسلوبية، وإذا نظرنا في هذه المعايير نجدها كالتالي :

١- **النثـــر** : اعتمد جون كوهن النثر معيارًا تقاس به لغة الشعراء إذ نستطيع أن ننظر إلى « الانزياحات التي تقدمها اللغة الشعرية بالنظر إلى النثر»[(١)]، ولكنه رأى أنَّ النثر على إطلاقه يثير إشكالية كمعيار، فمن النثر ما تعلو فيه الفنية ويشتمل على العديد من الانزياحات أو كما قال هو «والفرق بين الشعر والنثر كميٌّ أكثر مما هو نوعيٌّ إذ إنما يتمايز هذان النوعان بكثرة الانزياحات، والفرق في هذه الكمية يمكن أن ينحدر إلى أقل ما يمكن»[(٢)]، ولكي يخرج من هذه الإشكالية حدد النثر بنثر العلماء قائلاً : « ويمكن أن نشخص الأسلوب بخط مستقيم يمثل طرفاه قطبين، القطب النثري الخالي من الانزياح، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة، ويتوزع بينهما مختلف أنماط اللغة المستعملة فعليًا، وتقع القصيدة قرب الطرف الأقصى، كما تقع لغة العلماء، بدون شك، قرب القطب الآخر، وليس الانزياح فيها منعدمًا ولكنه يدنو من الصفر وسنظفر في مثل هذه اللغة بأقرب نموذج لما يدعوه رولان

(١) بنية اللغة الشعرية، ص١٦ .

(٢) السابق صـ٢٣ .

بارط « درجة الصفر في الكتابة »[1].

٢- اللغة الأدبية المتداولة السابقة :

ظهر الوعي بهذا المعيار لدى ليوسبتزر في أسلوبيته التي جعلت الانزياح ضمن سياق تاريخي زماني (تعاقبي) وبَنَتْه على المقابلة بين ما هو موسوم من الكلام وغير موسوم، أي بين موسوم الكلام ذي الشحنة الأسلوبية، والكلام المتعارف المتراكم في الاستعمال الأدبي على مدى تاريخ الأدب، فالمعيار – عنده- هو الكلام الأدبي المتداول في الآثار الأدبية [2].

٣- اللغة العادية أو الاستعمال الشائع :

صادف هذا المعيار حظوة عند الشكلانيين الروس فطفقوا يقيسون اللغة الشعرية بلغة الحديث اليومي، بوصف هذه الأخيرة أصلاً يقاس في ضوئه انزياح اللغة الشعرية [3].

٤- النظام اللغوي أو اللغة المحايدة :

يتمثل هذا المعيار في المواضعات التي فرضها الأصل اللغوي، فالخرق الذي يصيب اللغة في النصوص الإبداعية هو خرقٌ جمالي لمثالية النظام اللغوي في أصل

(١) بنية اللغة الشعرية صـ٢٣، ٢٤ .

(٢) الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب صـ٢٢١، نقلا عن فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، عبد الله صولة، صـ٧٤- ٧٥، مجلة دراسات سيميائية أدبية دار سال، فاس، المغرب، عدد ١، خريف ١٩٨٧م .

(٣) السابق صـ٢٢٧، نقلا عن : تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية للشعر، محمد العمري صـ٣٦ .

وضعه [١].

٥- القارئ العمدة :

ينسب هذا المعيار إلى ريفاتير إذ يرى أن تُعيَّن مواضع الانحراف بمعونة عدد من القراء كما يصنع علماء اللغة في الفروع الأخرى من هذا العلم فيعتمدون على أخبار الرواة من أهل اللغة عن كيفية النطق ومعاني الكلمات [٢].

٦- السيـــاق :

وهو معيار داخلي يكون فيه « النمط العادي مرتبطًا بهيكل النص المدروس، معنى ذلك أن بنية النص من حيث العبارات والصيغ تبرز هي نفسها مستويين اثنين : أَحَدهُما يمثل النسيج الطبيعي وثانيها يزدوج معه ويمثل مقدار الخروج عن حده » [٣].

٧- الإحصـاء :

ذهب مجموعة من النقاد إلى أن الإحصاء يمكن أن يكون مقياسًا لتعيين الانزياحات فهذا بيرجيرو يقول : (إن الألفاظ ذات التوتر غير العادي لدى كاتب من الكتاب بالقياس إلى التواترات الموضوعية من خلال عدد كبير من الكتاب الآخرين المعاصرين تُكون الألفاظ المفاتيح عند ذلك الكاتب وقد نقل كوهن

(١) الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، صـ٢٣٧، ٢٣٨ بتصرف .
(٢) علم الأسلوب مدخل ومبادئ، شكري عياد صـ١٧٩، دار التنوير، ط١، ٢٠١٣م، بتصرف
(٣) الأسلوبية والأسلوب، صـ١٠٤ .

تعريف جيروا للأسلوب بأنه انزياح يعرف كميًا بالقياس إلى المعيار) [١].

٨- البنية السطحية والبنية العميقة :

اقترح ثورن - وهو من أتباع تشومسكي- هذا المعيار في تعيين الانزياحات حيث يرى أن معظم الجمل لها بنيتان : بنية سطحية أو ظاهرية، وأخرى تحتية عميقة[٢].

٩- نظرية الإعـلام :

نظرية ظهرت في الخمسينيات من القرن العشرين[٣]، وتجعل المعيار للانحراف هو الحس اللغوي للمتلقي [٤].

***

(١) الانزياح التركيبي في النص القرآني، صـ ٧٣، بتصرف .

(٢) السابق، صـ٧٢، بتصرف .

(٣) السابق، صـ٧٠، ٧١ .

(٤) علم الأسلوب مدخل ومبادئ، صـ ١٧٨ .

المطلب الثالث: أنـواع الانزيـــــاح

حصر جون كوهن أنواع الانزياح بقوله : (نحن إذن أمام مستويين مختلفين : الأول سياقي، والثاني استبدالي، والثاني هو وحده الجدير بتسمية الاستعارة، نلاحظ في نفس الآن أنَّ الاستعارة إذا كانت صورة فإنها لا تنتمي إلى نفس الأنماط الأخرى كالقافية والحذف أو النعت الزائد والتقديم والتأخير، كل هذه الصورة هي في حقيقة أمرها انزياحات سياقية بينما الاستعارة هي انزياح استبدالي، وهي لا تتميز بكونها تتحقق في مستوى مختلف وحسب، ولكنها تعتبر أيضًا مكملة لكل الأنواع الأخرى من الصور »[1].

إذن ينقسم الانزياح إلى قسمين رئيسيين هما السياقي والاستبدالي .

ويقصد بالاستبدالي : إعطاء دلالة مجازية للفظة، وتمثل الاستعارة عماد هذا النوع .

أما الانزياح السياقي : فيتكون من :

١- الانزياح على المستوى الصوتي ويشمل : الإيقاع (الداخلي والخارجي)، والجناس، والتكرار، والتوازي ...

٢- الإسناد على المستوى التركيبي ويشمل :

أ- الإسناد التنافري عن طريق تحطيم العلاقة بين الدال والمدلول، ومن ثم خلق علاقات جديدة متلائمة بين المدلول الأول والمدلول الثاني .

(١) بنية اللغة الشعرية، جون كوهن، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، صـ ١٠٩، مكتبة الأدب المغربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م .

ب- إحداث أي تغيير في نظام (تركيب) الجملة كالتقديم والتأخير والحذف[1].

- وعلى هذا التقسيم سار معظم الدارسين المحدثين في أبحاثهم ودراساتهم[2]، وإن حدث خلاف فهو في التسمية لا في المضمون كما عند د/صلاح فضل[3]، إذ قسمه إلى تركيبي واستبدالي، وعَرَّف التركيبي بأنه يتصل بالسلسلة السياقية فهو بذلك لم يخرج عن السياقي .

- وفي هذا السياق نجد أنَّ صاحب بحث (مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب)، قد أحدث خلطًا عندما ذكر أنواع الانزياح، لنستمع إليه يقول : « يمكن أن يكون للانزياح ثلاثة أقسام :

الانزياح الإسنادي، والانزياح الدلالي، والانزياح التركيبي، أما الانزياح الإسنادي : وهو ما أسند اسم إلى اسم، أو ما ينزل منزلته (الجملة الاسمية)، وإسناد فعلي، وهو ما أسند فيه فعل إلى اسم (الجملة الفعلية) أما الانزياح الدلالي : فيُعنَى بدلالة اللفظ في المعجم، وما طرأ عليه من تطور دلالي،

---

(١) الانزياح التركيبي في النص القرآني، صـ٦٥، ٦٦ .

(٢) ينظر : مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، صـ١١٩ .
والانزياح في شعر نزار قباني، إذ قسم الباحث دراسته إلىٰ ثلاثة فصول شملت الانزياح الدلالي، كمعادل للاستبدالي ثم الانزياح التركيبي، والانزياح الصوتي كمعادلين للسياقي .

(٣) علم الأسلوب، مبادئُه وإجراءاتُه، د/ صلاح فضل، صـ٢١١، ٢١٢، دار الشروق، ط١، ١٩٩٨م .

ويرى كوهن أنه : « مجموع التأليفات المتحققة لكلمة ما »، أما القسم الثالث : الانزياح التركيبي فيتمثل في التقديم والتأخير والحذف والالتفات والاستعارة والمجاز والتشبيه وغيرها من وسائل تكوين أسلوب النص »[1].

ونستطيع أن نحصر هذا الخلط في أمرين :

الأول : أنه جعل الانزياح الإسنادي نوعًا مستقلاً برأسه، مع أنه داخل في السياقي- التركيبي- عند جون كوهن، فـ « كوهن يسمي الانزياح السياقي « منافرة » ويقع ضمنه الانزياح الإسنادي الذي يتمثل في عدم ملاءمة المسند للمسند إليه أي ثمة (منافرة) بينهما، إنَّ هذا هو ما يسميه كوهن- أحيانًا - اللانحوية »[2].

الأخير : أنه خلط الدلالي (الاستبدالي) بالتركيبي (السياقي)، فأدخل في الأخير الاستعارة والمجاز والتشبيه، وهذه مجانبة صريحة وظاهرة للصواب كما هو واضح من نص جون كوهن الوارد في مقدمة هذا المطلب[3].

***

(١) د/ سلام عبد الله محمود عاشور، صـ٦٤، ٦٥، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، العدد السادس، يونيو ٢٠١٢م .

(٢) مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، صـ ١٢٠، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤م .

(٣) لعل عدم استيعابه العميق لنص جون كوهن هو ما أدخله في هذا الخلط، كما يمكن أن يكون لتخصصه الدقيق - النحو والصرف- أثرٌ في هذا .

المبحث الثالث

المصطلحان في ميزان النقد الأدبي الحديث

وفيه:

المطلب الأول : مفهوم المصطلحين ونشأتهما في ميزان النقد الأدبي الحديث.

المطلب الثاني : معيار المصطلحين في ميزان النقد الأدبي الحديث.

المطلب الثالث : أنواع المصطلحين في ميزان النقد الأدبي الحديث.

مدخل :

يأتي هذا المبحث ليقيم موازنة بين المصطلحين في ما تم عرضه في المبحثين السابقين من نشأة ومفهوم، ومعيار، وأنواع، وسوف تحاول هذه الموازنة أن تقف على أوجه التشابه والاختلاف بين المصطلحين في كل عنصر من العناصر السابقة لنرى أيَّ المصطلحين أحق بالتعاطي والاستعمال في نقدنا العربي ،

كما سيتضمن المطلب الأول من هذا المبحث مناقشة رأي من فَضَّل الانزياح ورجحه على العدول .

المطلب الأول: النشأة والمفهوم في المصطلحين في ميزان النقد الأدبي الحديث .

أولاً :-

إنَّ الملاحظة الأولى التي يلاحظها المتأمل في طبيعة مصطلح الانزياح تتعلق بمن فضلوه – من الباحثين العرب[1]– على العدول كترجمة للمصطلح الغربي، إذ إنهم وضعوا معيارًا في الترجمة، وساروا عليه، ولم يبالوا في مقابل ذلك بالآثار السلبية المترتبة على هذا المعيار، فمعيارهم في الترجمة أنها تعني « التماثل التام »[2] يعني التكافؤ المماثل بين المصطلحين الغربي والمصطلح العربي، « وكأنَّ نص اللغة الهدف مطالب أن يكون مماثلاً لنص اللغة المصدر في الفحوى والأسلوب والأثر»[3]، وعلى ذلك فلما كان – من وجهة نظرهم– معنى البعد متحققًا في المصطلحين وبدرجة أكبر من الانحراف والعدول عُدَّ لذلك الترجمة الأحسن، يقول أحدهم: « والانزياح مصدر للفعل المطاوع انزاح، أي ذهب وتباعد، وهو من أجل هذا أحسن ترجمة للمصطلح الفرنسي Ecart إذ إنَّ هذه الكلمة تعني في أصل لغتها البعد أيضًا »[4]، والحق أنَّ مراعاة التماثل التام دون غيره في الترجمة هو من سمات الهاويين، لا من سمات المحترفين، فهناك فرقٌ بين « النظرة الخارجية للترجمة التي

(١) أخص بالذكر منهم د/ محمد ويس، صاحب بحث الانزياح وتعدد المصطلح، سابق .

(٢) مجلة العربي والترجمة، العدد ٢٤، السنة السابعة، ديسمبر ٢٠١٥، بحث: بعض إشكاليات البحث اللساني في الثقافة العربية الحديثة، محمد الملاخ صـ١٨٥ .

(٣) السابق صـ١٧٨ .

(٤) الانزياح وتعدد المصطلح، صـ٦٤، ٦٥ .

تكون لدى زبائن الترجمة أو قرائها الذين يفترضون أنَّ الترجمة تعني التماثل التام (Semeness) والنظرة الداخلية (التي تكون بشكل أساسي لدى علماء الترجمة الذين يعلمون أنَّ الترجمة أمرٌ أكثر تعقيدًا، وبسبب هذا التعقيد فإنَّ بعض علماء الترجمة يفضلون الحديث عن الترجمة بوصفها إعادة كتابة أو معالجة نصية بارعة أو تملكًا، وهم يحاجون أنَّ التكافؤ في الواقع ليس واضح المعالم كمصطلح ليشمل كل أنواع الأنشطة التي يقوم بها المترجمون، ولكن إعادة الكتابة بما ترشد إليه الممارسة أو بما تفضله أو تسمح به، تعتمد مَدىً ونوعًا في الأساس على المفاهيم التي تغلُب في الترجمة »[1].

وعلى ذلك فقد نسي هؤلاء – في ظل البحث عن المماثلة التامة – أنه «إذا ما اختير شكل من لغة الهدف وعُدَّ صحيحًا بناءً على قواعد النظام اللغوي، فإنَّ ذلك لا يعني ضرورة أنَّ ذلك النص برمته يؤدي بشكل مناسب الوظيفة التواصلية في مقام اللغة الهدف وثقافتها »[2].

ومن ثم فقد ظهرت الآثار السلبية لهذا المصطلح الذي فقد وظيفته التواصلية من ناحية، وضحى في مقابل ذلك بمصطلح قائم بوظيفته على أتم وجه وأكمله، أما فقده للوظيفة التواصلية فلأنه قد اجتلب ليحقق مفهومًا خاصًا يتمثل في الخروج

(١) بعض إشكاليات البحث اللساني في الثقافة العربية الحديثة، صـ ١٨٥، ١٩٨٦، وينظر كذلك بحث أنا والترجمة، يوسف بكار، صـ١٣٧، وما قاله عن المترجم البارع، العربية والترجمة ٢٠١٣- ع ١٢ .

(٢) السابق، صـ ١٧٩ .

على الأصل والعدول عن القواعد، وكسر المعيار لغاية فنية كما مر، وهو لا يحقق هذا ولا يدل عليه، لأنه « من زيح الشيء عن موضعه مع بقائه على حاله، ولم يتغير، لكن المقصود منه أنَّ المبدع قد عدل عن استخدام المستعمل في اللغة الموافق لقوانينها، وقواعدها إلى شيء لا نظير له فيها لهدفٍ في نفسه لإخراج النص في أحسن صورة يتلقاها المتلقي، أي أنه غيَّر القواعد والقوانين وعدل عنها ولم يزحها من مكانها إلى جانب آخر كما يعطيه المعنى اللغوي للانزياح »[1].

وأمَّا أنه ضحى بمصطلح العدول- وجعله مفضولاً- فلأن معناه اللغوي يتحقق به المفهوم الفني المقصود من توظيفه، كما سبق بيانه في المطلب الأول من المبحث الأول [2].

- ويعود القائل بتفضيل الانزياح على العدول والانحراف مرة أخرى ليحسم المفاضلة بقوله : « وبعد، فقد جرى حتى الآن استعراض ثلاثة مصطلحات هي : الانحراف، والعدول، والانزياح . وهي الأكثر نفوذًا ودورانًا، فإذا كان للمرء أن يفاضل بينها . فلربما فضل الانزياح أخويه، لا لأنه المصطلح المعتمد في هذا البحث، وإنما لأمور نحسبه يمتاز بها : فهو أولاً يعد ترجمة دقيقة وموفقة للمصطلح الفرنسي Ecart على ما مر آنفًا . وإذا صح أنَّ جرس اللفظ يمكن أن

(١) مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، العدد السادس، يونيو ٢٠١٢م، بحث مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب د/ سلام عبد الله محمود عاشور، صـ٦٤ .

(٢) انظر صـ٣ .

يكون له تعلق بدلالته، فإن تشكيل « الانزياح » الصوتي وما فيه من مد، من شأنه أن يمنح اللفظ بعدًا إيحائيًا يتناسب وما يعنيه في أصل جذره اللغوي من « التباعد والذهاب » . حقًا إنَّ « الانحراف» و« العدول » يتضمن كل واحد منهما مدًا، بيد أنه مدٌ لا يتلاءم وما تعنيه الكلمة من معنى . ثم إنَّ الفعل منهما يفتقر إلى ذلك المد الذي ينطوي عليه « انزاح » . وهذا فعل مطاوع ينطوي على فعل آخر وراءه جعل الشاعر أو الكاتب ينزاح، فهو إذن يستدعي بحثًا عن سبب لهذا الانزياح . وإذا كان الأمر نفسه موجودًا في « الانحراف » فليس موجودًا في « عدل » من العدول .

وإذا كنا رأينا أنَّ كل واحد من لفظي « الانحراف » و« العدول » يرد في كتب بلاغية ونقدية في معانٍ كثيرة ليست بنقدية ولا أسلوبية، فإن «الانزياح » يمتاز من ذلك بأن دلالاته – إذ يرد في كتب الأسلوبية – منحصرة تقريبًا في معنى فنّي ... وهذا يعني أنه مصطلح لا يحمل لبسًا من أي نوع كان- ثم هو لا يحمل ما يحمله « الانحراف » من بعد أخلاقي سيء يجعل المرء غير مطمئن إليه »[1].

نستطيع أن نناقشه في هذا الرأي – الذي نقلناه مع طوله لأنه يعد قِبلة الباحثين المفضلين لمصطلح الانزياح- من خلال ما يأتـي :

١- قوله: (أنه يعد ترجمة دقيقة وموفقة للمصطلح الفرنسي Ecart)، تم الرد عليه – فيما سبق- بأنَّ مراعاة الوظيفة التواصلية للمصطلح في الترجمة مقدمٌ

(١) الانزياح وتعدد المصطلح صـ٦٦، ٦٧، سابق .

على مراعاة الدقة والتوفيق فيها .

٢- ما ذكره بخصوص الإيقاع الذي يتوافق مع معنى الجذر اللغوي للفظ المختار، يرد عليه بأنه يفتقد التعويل على الجانب الصوتي أهميته وحجيته في المفاضلة بعد أن فقد المصطلح وظيفته التواصلية في الأساس، فلا يُلجأ إلى التدليل بالجانب الشكلي إلا بعد استيفاء الجانب المعنوي الذي يحقق المفهوم المراد، في حين أنَّ مصطلح العدول الذي تحقق فيه هذا المفهوم يمتلك هذه الخصائص الصوتية - المتمثلة في سهولته وليونته وسلاسة النطق- التي تؤكد رسوخه ومنهجيته بجمعه بذلك بين الحسنين، فهو يتكون « من أربعة أحرف، وهي مصدر للفعل عدل الثلاثي، وتتكون من العين والدال والواو واللام، وهي – بلا شك – أحرف مجهورة كلها، أي أنَّ خروج هذه الأحرف يحدث « ذبذبة الوترين الصوتيين في الحنجرة »، وهي أيضًا سهلة المخرج، فالعين والدال من متقاربي المخرج، وبينهما الواو تسهيل خروجهما بما تعطيه من الطول وهي مجهورة مع باقي أحرف العلة أيضًا، وفي آخره- حرف شديد هو الدال، وباقي أحرفه بين الشدة والرخاوة، وهذا مما يسهل النطق بها ويعطيها تناغمًا وسهولة وليونة وسرعة في الاستخدام، مما يجعلها أفضل من غيرها »[1].

٣- ما ذكره من أنَّ العدول والانحراف قد وردا في كتب بلاغية ونقدية بمعانٍ ليست بلاغية أو فنية، فإنَّ هذا- على فرض صحته – لا يقدح في دلالته

(١) مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب صـ٧٦، ٧٧، كما أبان هذا البحث عن صعوبة النطق بكلمة الانزياح، بشرح الخصائص الصوتية لحروفها في مقابل العدول السابق، انظر صـ٧٧ – السابق .

المفهومية، إذ كانت على الدوام هي الأشهر والأقرب إلى الذهن في حقل الدراسات النقدية، ، على أنَّ ما ذكره من أمثلة يستدل بها على استخدام مصطلح العدول في معانٍ غير كسر المعيار، ومخالفة القاعدة، والخروج على المألوف لا تنهض دليلاً له بل دليلاً عليه إذ يظهر فيها معناها المفهومي على هذا المصطلح في قوة ووضوح لنستمع إليه يقول: « وينبغي التنبيه أخيرًا على أنَّ هذا المصطلح، وإن كان واردًا في التراث البلاغي، قد يرد في سياقات غير بلاغية أو فنية، وعلى ذلك قول الآمدي تعليقًا على بيت البحتري :

لا تلمنـــي علـــىٰ البكـــاء فـــإنّي نضـو شـجو مـا لمـت في البكـاء

« هذا عدول عن القياس وصحيح التمثيل ... » وورد عن القاضي الجرجاني أنَّ المتأخر « اجتذبه الإفراط إلى النقص، وعدل به الإسراف نحو الذم » . وورد عند أبي هلال العسكري أنَّ من عيوب المديح « عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس، من العقل والعفة، والعدل، والشجاعة، إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينة » . وورد عند الزمخشري « وقيل للمخطئ لا حسن لأن يعدل بالكلام عن الصواب » ومثل ذلك قول ابن وهب : « وأما الخطأ فهو ضد الصواب . ومعناه : العدول عن المقصد من غير تعمد ... (وأما) الجور فهو عدول عن الطريق بقصد » . وإذا تعرض لهذه السياقات القديمة نبغي من ورائها التنبيه على أنَّ « العدول » ومشتقاته لا يخلو من بعض اللبس . وهو يشارك لفظ « الانحراف » في أنه مشغول أو شبه مشغول »[1].

٤- قوله (إنَّ الانزياح يمتاز من ذلك بأن دلالاته – إذ يرد في كتب الأسلوبية –

(١) الانزياح وتعدد المصطلح صـ٦٤ .

منحصرة تقريبًا في معنى فني ... وهذا يعني أنه مصطلح لا يحمل لبسًا من أي نوع كان)، يُرَدَّ عليه فيه بما سبق بيانه من أنَّ هذا التوظيف للمصطلح في الأساس إنما كان على سبيل الترجمة المغالطة للمفهوم الذي يراد منه .

٥- إذا جاز له أن يستبعد مصطلح الانحراف[١] – الذي لا نناصره أيضًا- لما يحمله من بُعد أخلاقي سيء، فإنه يجوز لنا كذلك- بناءً على هذا- أن نستبعد

(١) علىٰ أنَّ مصطلح الانحراف في الأساس مصطلح تراثي عربي ذكره ابن جني في الخصائص (ج٣- تحقيق محمد علىٰ النجار – صـ٢٧١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م) – بمعنىٰ العدول عن الأصل، والميل عنه، ولنا ألا نستسيغه هذه الأيام بفاعلية التطور الدلالي التاريخي الذي لحق اللفظة، وأصبح أكثر شيوعًا في الإطلاق علىٰ معانٍ سلبية، وغير أخلاقية .

– والانحراف حين يطلقه- أغلب النقاد المحدثون لا يقصدون منه دلالته التراثية = = وإنما يقصدون أنه معادل للفظة الانزياح في ترجمته عن الغرب كذلك، والمرجعية في الاختيار له أو الانزياح ترجع إلىٰ نوع الثقافة التي تغذىٰ بها الناقد العربي : فـ(ما يغلب علىٰ هؤلاء الذين استعملوا الانزياح هو اعتمادهم ثقافة فرنسية استقاءً أو ترجمة، علىٰ حين مال إلىٰ (الانحراف) في الغالب أولئك الذين غلبت عليهم المصادر الانجليزية، فهذه لا تحوي إلا كلمة Deviation، وهي كلمة تناسبها كلمة (الانحراف) علىٰ حين أنا وجدنا Ecart يناسبها (الانزياح) وهي كلمة فرنسية غير موجودة في الإنجليزية) – الانزياح وتعدد المصطلح صـ٦٤ .

– وإنما جعلنا دراستنا منصبة علىٰ الانزياح- في مقابلته للعدول- دون الانحراف رغم أن الأخير أكثر شيوعًا واستخدامًا ؛ لأن الانزياح هو المصطلح الأضبط والأدق- من وجهة نظر مناصريه- بالتوظيف والذكر كمعادل للمصطلح الأجنبي، وإلا فما ذكرناه وما سنذكره – في دراستنا- ينسحب في كثير منه علىٰ الانحراف كذلك، وهذا ما يفهم منه – ضمنًا – أننا لا نناصر مصطلح الانحراف وموقفنا منه بصورته الحداثية كموقفنا من مصطلح الانزياح .

مصطلح الانزياح، إذ تتداعى إلى الذهن عند ذكره وبقوة- بفضل الاشتقاق بينهما – لفظة النزوح بما تحمله من دلالة على الإبعاد القسري، والتهجير الإجباري، التي تتعرض له بعض الجماعات والأفراد، خصوصًا في العصر الراهن الذي صَحِبَه طَرْقُ هذا اللفظ- بدلالته - لأسماعنا بكثرة وتتابع، وهذا ما يُرَجِحُ في النهاية مصطلح العدول الذي لا تتداعى إلى الذهن منه أمثال هذه الدلالات السلبية المنبعثة من الانحراف رأسًا، ومن الانزياح بواسطة الاشتقاق .

ثانيًا :

إنَّ المتأمل في المصطلحين يجد أنَّ بينهما تشابهًا في الارتباط بالشعر، فكلاهما يهتم بالدرجة الأولى بالمميزات الفنية التي يتميز بها الشعر على كافة الأنواع الأدبية، وهذا أمرٌ متفق عليه بين الجانبين، فنقادنا القدامى كانوا يدركون أنَّ هذه الخصائص من سمات الشعر، ولذا نجدهم يقولون (ماء الشعر) دون (ماء النثر)، وما ذلك إلا لتيقنهم بتفرده، وأنه يتصرف فيه ما لا يتصرف في غيره، وهذا التصرف يكون من خلال العدول الذي تكسر بواسطته القواعد، ويخرج به على الأصل، وكذلك جاء الانزياح عند الغرب مرتبطًا بالشعرية بالدرجة الأولى- كما بينا في المبحث الثاني- إذ إنه (ضروري لكل شعر)، بل إنه « جوهر الفن الشعري نفسه »[1].

- وإذا كان المصطلحان يتفقان في الجانب السابق، فإنهما يختلفان- في نفس الإطار- في مرجعيتهما، فالعدول مرجعيته لغوية بلاغية نقدية، والانزياح مرجعيته أسلوبية - وذلك كما سبق بيانه في المطلبين الأوليين من المبحثين الأول

(١) بنية اللغة الشعرية، صـ ٤٦ .

والثاني – وإذا وضعنا الأسلوبية في مقابل التراث اللغوي والبلاغي والنقدي عند العرب فسنجد أنَّ الأخير أشد وضوحًا وجلاءً وثباتًا واستقرارًا من نظيره الأسلوبي الذي اتسم بالغموض والتداخل، وتشعب الأنواع، واختلاف التسميات [1]، وبالتخلخل والتهاوي أمام غيره – على عادة النظريات الغربية المتلاحقة – إذ «تشير البحوث الأسلوبية اليوم أنَّ علم تحليل الخطاب، والذي هو فرعٌ من اللسانيات الاجتماعية يحل يومًا بعد يوم محل الأسلوبيات ليكون البديل الأكثر علمية منها، ذلك أنَّ هذا العلم يحاول الآن ابتلاع الأسلوبيات لكي ينقل دراسة الظاهرة الأسلوبية إلى الحقل اللساني الاجتماعي (السوسيولجي)[2]، ورغم إدراكنا لكونية ظاهرة (الانزياح – العدول) واستمرارها كتقنية ذاتية في كل مذهب ونظرية لغوية، إلا أننا في هذا السياق لابد وأن نوازن بين الثبات لمرجعية المصطلح العربي، والتهاوي لمرجعية المصطلح الغربي، لنؤكد في النهاية أنَّ الأفضلية تصب– دون شك– في صالح المصطلح العربي .

ثالثًا – يتشابه المصطلحان في القيمة الفنية المترتبة على كل منهما، فهما معًا يحققان للأسلوب (المفاجأة التي تؤدي إلى لفت انتباه المتلقي، وجذبه نحو النص، وبالتالي الوصول إلى إثارة الجمال فيه، كما يعملان على تجديد القواعد اللغوية)[3].

وهذا التشابه في القيمة يُعَزِّز أفضلية مصطلح العدول ويؤكد أنَّ « في البلاغة

---

(١) ينظر مصطلح العدول والانزياح عند اللسانيين العرب، صـ٦٢، وينظر : عالم = = الفكر، المجلد ٢٢، العدد الثالث والرابع، يناير، مارس، إبريل، يونيو ١٩٩٤م بحث الاتجاهات اللسانية المعاصرة، ودورها في الدراسات الأسلوبية د/ مازن الوعر.

(٢) الاتجاهات اللسانية المعاصرة، ودورها في الدراسات الأسلوبية صـ١٧٠– ١٧١.

(٣) الانزياح التركيبي في النص القرآني، صـ٧٦، بتصرف .

العربية فكرًا يمكن أن يلبي حاجة الناقد الحديث في كثير من القضايا النقدية »[1].

رابعًـا : وأخيرًا فإن مصطلح العدول يتسم بالمنهجية في إطلاقه على مفهومه، وذلك طبقًا لمعايير اختيار المصطلحات العلمية والتي من بينها تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة [2]، وعلى هذا يمكننا القول بأن ((المفهوم التراثي للعدول قد صار واقعًا في مقابل العديد من المصطلحات المعاصرة . وقد صار واضحًا أنه يطرح نفسه بجدارة ترى ضرورة الإسهام الإيجابي في التعاطي مع القراءات النقدية والبلاغية المحدثة »[3].

***

(١) نقد الحداثة في البلاغة والنقد الأدبي، د/ محمد إبراهيم شادي، صـ٤٧، ط١، ١٩٩٢م.

(٢) انظر الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د/ محمود فهمي حجازي، صـ٢٥١- ٢٥٣، مكتبة غريب .

(٣) ظاهرة العدول في البلاغة العربية، مقاربة أسلوبية، صـ٣٨ .

المطلب الثاني
معيار المصطلحين في ميزان النقد الأدبي الحديث

– مع تسليمنا بأنَّ محاولة وضع معيار في اللغة – الحية المتحركة– أمرٌ لا يخلو من التعسف[١]، وأنَّ عملية وضع المعايير في ذاتها لا تخلو كذلك من مآزم[٢]، وأنَّ هناك– في الوقت ذاته– أسبابًا تدعوا إلى تعدد[٣] المعايير، إلا أننا مرغمون على الوقوف على معيار أكثر انضباطاً نعتد به، فإذا كان العدول أو الانزياح [٤] (شريان الفعل الإبداعي، فإن تحديده – وهو إجراء نكتنه به سر ذلك الفعل– يرتهن بتعيين ذلك المعيار، وهكذا ينبغي مباشرة المعيار واستجوابه لرصد العدول أو الانزياح والوقوف عليه) [٥]، كما أنَّ القول بالعدول أو الانزياح (يفترض – ضمنًا– معيارًا عُدِلَ عنه، يقتضيه العدول أو الانزياح بوصفهما ضرورة إجرائية لا محيد لتعيينهما من الوقوف عليه، وإن كان افتراضيًا مثاليًا) [٦]، ومن هذا المنطلق فإن الناظر في المعايير العربية والغربية المذكورة في المطلبين الثانيين من المبحثين الأول والثاني يجد

(١) ينظر الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، صـ٢٠٥ .

(٢) السابق، صـ٢١١– ٢١٤ .

(٣) السابق، صـ٢٠٦ – ٢٠٨ .

(٤) نتعامل مع مصطلح الانزياح الآن بوصفه المعادل الغربي للمصطلح العربي العدول ؛ لا أننا نعتد بهذه التسمية للإطلاق علىٰ العدول في العربية .

(٥) الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب صـ٢٠٩ .

(٦) السابق، ص٢١١ بتصرف .

أنها تختلف من ناحية الانضباط والعدد، إذ كان المعيار العربي متسمًا بالانضباط والقلة والاستقرار إذ يقوم – في الأغلب- على قواعد الاستخدام اللغوي الصحيح في المستوى العادي، كما يقوم على رأي البعض على النثر كما ورد عند ابن طباطبا، ويرجع انضباط المعايير وقلتها واستقرارها عند العرب إلى تقارب المنطلقات اللغوية التي انطلق منها النقاد العرب، وعدم وجود فوارق بينية فاصلة بينهم، وهذا بخلاف النقد الغربي الذي وجدت فيه هذه الفوارق والاختلافات، مما أدى في النهاية إلى كثرة المعايير وعدم انضباطها واستقرارها، بل وتشتتها وتناقضها[1] كذلك .

- وعدم الانضباط لهذه المعايير وكثرتها وعدم استقرارها في مقابل انضباط المعيار العربي واستقراره وقلته يدفعنا إلى عدم تمثل مصطلحهم الغامض، وتوظيفه في نقدنا العربي ؛ لأن هذا التوظيف يستلزم حينئذٍ نسبة المصطلح بمعياره إلى صاحبه، فنقول مثلاً انزياح كوهن، أو انزياح سبتزر، أو انزياح ريفاتير، ... الخ، وذلك حتى ينضبط الإطلاق، ولا يكون عائمًا مضللاً .

(١) لم يسلم أيٌّ معيار من المعايير التسعة المذكورة في المبحث الثاني من النقد، ينظر نقد المعايير السبعة الأولىٰ، الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب صـ٢١٦- ٢٨١، وانظر نقد المعيارين الثامن والتاسع، علم الأسلوب مدخل ومبادئ، صـ ١٧٨، ١٧٩، علىٰ أنَّ هذا النقد ينال المعيارين العربيين كذلك، فمعاييرهم تتضمن معيارينا – كما سنوضح- وهذا النقد ليس في صحة المعيار أو عدم صحته، بل في قلة عدد السلبيات وكثرتها، ومدىٰ انسجام المعيار مع الظاهرة اللغوية أو بعدها، وكان المعيار العربي – الأغلب- هو الأقل سلبية .

– حقيقةً أننا يمكن أن نجد تشابهًا في بعض معاييرهم مع معيارينا، فمعيارنا الأغلب المتمثل في قواعد الاستخدام اللغوي الصحيح في المستوى العادي يمكن أن نجمعه من معيارهم الثالث : اللغة العادية أو الاستعمال الشائع، والرابع : النظام اللغوي أو اللغة المحايدة، فاللغة العادية أو الاستعمال الشائع عندهم يقابله المستوى العادي عندنا، والمقصود الكلام المتداول المشهود له بصحته وسلامته، والنظام اللغوي أو اللغة المحايدة عندهم يقابلها القواعد الأساسية عندنا، والمقصود القواعد الأساسية والقوانين اللغوية المستنبطة من رحم اللغة في أصلها الثابت المعتاد .

كذلك النثر– المعيار الأقل عندنا– يقابله المعيار الأول عندهم وهو النثر عند كوهن، وذلك باعتبار النثر مقياسًا تقاس به اللغة الشعرية باعتبارها اللغة الأعلى فنية في التعبير الأدبي .

نقول رغم حقيقة هذا التشابه والذي عقدناه يقينًا منا بأن اللغة الإنسانية عمومًا توجد فيها بعض السمات والظواهر المشتركة التي يمكن كشفها ؛ إلا أننا في هذا السياق الذي جاءت فيه المعايير العربية محددة ومنضبطة ومشتملة في الوقت ذاته على بعض ما ذكر عند الغرب نؤكد أنَّ الأفضلية تصب – بوضوح– في صالح المعايير العربية، ولأن المعيار العربي هو الأكثر تلاؤمًا وانضباطًا في تحديد العدول كان محل اتفاق من الباحثين المحدثين، وهذا ما أكده د/ عبد الحكيم راضي بقوله : (هناك اتفاق لدى الباحثين المحدثين على أن يكون اختياره من بين مستويات اللغة

العادية المعاصرة للآثار الأدبية المطلوب تحليلها بمعنى يقاس انحراف النص الأدبي إلى ما يعاصره من مستوى الكلام العادي) [1]، وهذا الرأي لا يخالف القواعد الأساسية المختارة قبلاً عند العرب، لأن مستوى الكلام العادي لا يخرج عن القواعد الأساسية للنحو والصرف والبلاغة، ما يعرف بالنظام اللغوي، وهذا ما أكده د/ صلاح فضل بقوله : « ولعله من الأقرب اعتبار الأسلوب انحرافًا عن قاعدة الاستخدام اللغوي، وهي القاعدة التي تلاحظ عادة بهذا المفهوم، فيكون على التحليل الأسلوبي أن يأخذ في اعتباره الانحرافات التي يجريها مؤلف معين على التصورات النحوية والبلاغية السائدة في عصره »[2].

***

(١) نظرية اللغة في النقد العربي، صـ ٥٢٥ .

(٢) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، صـ ٢١٤، وقد ذكر عَقِبَ هذا القول أنَّ هذا المعيار تترتب عليه سلبية تتمثل في : أن تحديد الأسلوب علىٰ أساس هذا المفهوم للقاعدة يحصره في ظواهر محدودة للغاية، ويحرم الكتاب الذين يراعون في مؤلفاتهم أن تتمشىٰ مع الاستعمال السائد الجيد للغة من أن نعثر في كتاباتهم علىٰ أسلوب ما نحلله . انظر السابق الصفحة نفسها .

المطلب الثالث : أنواع المصطلحين في ميزان النقد الأدبي الحديث

إذا نظرنا في المصطلحين من ناحية الأنواع، فإننا نجد أنَّ النقاد العرب القدماء لم يقوموا بحصر أنواع العدول، وإنما كانوا يرصدون ما يظهر لهم ويقرونه وينصون عليه، وأما النقاد العرب المحدثون فمنهم[1] من جعلها في ثلاثة مجالات هي التركيب والصرف والدلالة وذلك من باب ضبط الأقسام حتى يتسنى له دراسة الظاهرة التي يتعرض لها، ومنهم من رصد إمكانية الخروج على الأصول فجعله في الحرف والكلمة والجمل[2].

أما الأنواع في المصطلح الغربي فقد حصرها- كما سبق- جون كوهن في السياقي والاستبدالي .

وعند المفاضلة بين الأنواع السابقة نجد أنَّ أنفعها هو الحرف والكلمة والجملة فهذه الطريقة تجنبنا التداخل بين الأنواع، وصعوبة الفصل بينها، وهذا ما انتقدت به الأنواع عند جون كوهن فـ « الفصل القاطع بين الانحرافات السياقية والاستبدالية لا يمكن الإصرار عليه في التحليل الأسلوبي ؛ فالانحراف الاستبدالي في وضع المفرد مكان الجمع مثلاً لابد أن يترتب عليه انحراف تركيبي يتصل

(١) ينظر : نظرية اللغة في النقد العربي، صـ ٢١٥ .

(٢) ظاهرة العدول في البلاغة العربية، مقاربة أسلوبية، صـ ٢٣ .

بضرورة التوافق في العدد بين أطراف الجملة »[1].

– هذا وقد قال جون كوهن أنَّ البلاغة القديمة كانت لا تميز بني الانزياح السياقي والاستبدالي : « لقد عجزت البلاغة الكلاسيكية عن التمييز بين المستوى السياقي والمستوى الاستبدالي، إنها لم تنتبه إلى أن المستويين بعيدان عن التعارض، بل إنهما متكاملان »[2]، وعلى فرض أنَّ البلاغة العربية داخلة في هذا التعميم، فإنه يجب علينا أن نعترض عليه بمعرفة بلاغتنا – وإن كانت لا تعلم التسمية الغربية– التمييز بينهما من ناحية، وعدم التعارض بينهما من ناحية أخرى، ولا أدل على ذلك من قول الإمام عبد القاهر : « إنَّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته »[3].

***

(١) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، صـ ٢١٢ .

(٢) بنية اللغة الشعرية صـ١١٠ .

(٣) دلائل الإعجاز، محمود محمد شاكر، صـ١٠٠، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٤م .

الخاتمـــــــة

بعد التأصيل لمصطلحي العدول والانزياح، ثم الموازنة بينهما، يستطيع هذا البحث أن يوجز أهم النتائج فيما يأتي :

١- تتمحور إشكالية توظيف مصطلح الانزياح في النقد العربي الحديث حول تقديم معيار التماثل التام على معيار الوظيفة التواصلية للفظة المترجمة ، الأمر الذي أدى إلى تفضيل مصطلح غربي غامض وغير منضبط، على حساب مصطلح عربي قار ومنضبط وهو العدول .

٢- قامت أسباب تفضيل الانزياح على العدول في النقد العربي الحديث على حجج واهية سرعان ما تلاشت أمام المناقشة الموضوعية .

٣- كان المعيار العربي لمصطلح العدول أكثر انضباطًا واتفاقًا عليه من النقاد مقارنةً بمعيار مصطلح الانزياح الذي اتسم بالكثرة والتنوع .

٤- أدى تقسيم أنواع الانزياح إلى سياقي واستبدالي إلى التداخل بين نوعيهما، وعدم وجود حدود فاصلة بينهما، في حين أنَّ تقسيم أنواع العدول- عند بعض النقاد العرب- باعتبار الحرف والكلمة والجملة كان أكثر تحديدًا، ومنعًا للتداخل .

٥- التقى المصطلحان في كون الشعر هو محور الاهتمام فيهما، وجعله أصلاً للغة الفنية، واختلفا بعد ذلك في المرجعية فكانت مرجعية العدول لغوية بلاغية

نقدية، ومرجعية الانزياح أسلوبية، وترتب على ذلك أن كان العدول أرسخ ركنًا، وأثبت قدمًا من الانزياح في نقدنا العربي .

٦- تشابه المصطلحان في القيمة المرجوة منهما، وهي مفاجأة المتلقي وجذبه نحو النص، وجعل النص أكثر جمالاً وإبداعًا .

***

فهرس المصادر والمراجـــع

أولاً : الكتـــب :

١- أسرار البلاغة، شرح وتحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الإيمان بالمنصورة .

٢- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د/ محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب .

٣- الأسلوبية والأسلوب، د/ عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب ط٢، ١٩٨٢م .

٤- الأسلوبية وتحليل الخطاب، د/ منذر عياشي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م .

٥- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، يوسف وغليسي، دار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط١، ٢٠٠٨م .

٦- الانزياح التركيبي في النص القرآني، أ/ عبد الله خضر – دروب للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م .

٧- الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، د/ عباس رشيد الددة، دار الشئون الثقافية العامة، العراق، ط١، ٢٠٠٩م .

٨- بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ صلاح فضل، عالم المعرفة، أغسطس ١٩٩٢م .

٩- البلاغة والأسلوبية، د/ محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٤م .

١٠- بنية اللغة الشعرية، جون كوهن، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، مكتبة الأدب المغربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م .

١١- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د/تمام حسان، نشر عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م .

١٢- تراثنا البلاغي والمناهج الحداثية دراسات مقارنة، د/ أسامة البحيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦م .
١٣- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١م.
١٤- دلائل الإعجاز، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٤م .
١٥- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د/ صلاح فضل، دار الشروق، ط١، ١٩٩٨م .
١٦- علم الأسلوب مدخل ومبادئ، شكري عياد، دار التنوير، ط١، ٢٠١٣م.
١٧- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
١٨- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م .
١٩- قضايا النقد الأدبي المعاصر، د/ محمد القاسمي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م .
٢٠- معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط ١، ٢٠١٠م .
٢١- مفاهيم الشعرية، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤م
٢٢- نظرية اللغة في النقد العربي، د/ عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م .
٢٣- نقد الحداثة في البلاغة والنقد الأدبي، د/ محمد إبراهيم شادي، ط١، ١٩٩٢م .

ثانيًا : الرسائل العلمية :

١- الانزياح في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، محمود عبد المجيد عمر، كلية التربية، جامعة صلاح الدين، أربيل – العراق .

٢- ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقارنة أسلوبية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة، إعداد عبد الحفيظ مراح، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م .

٣- ثالثاً : المجلات والدوريات :

١- مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، العدد السادس، يونيو٢٠١٢م

٢- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٩، ع٤٠، ١٤٢٨هـ .

٣- مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الحادي عشر.

٤- مجلة العربية والترجمة، عدد١٢، لسنة ٢٠١٣م .

٥- مجلة العربية والترجمة، عدد ٢٤، السنة السابعة، ديسمبر ٢٠١٥م .

٦- مجلة عالم الفكر، م(٢٢)، ع(٣، ٤)، ١٩٩٤م .

٧- مجلة عالم الفكر، م(٢٥)، ع(٣)، ١٩٩٧م .

***